حـــول
استيطان موقع جراده في سورية في عصور ماقبل التاريخ

ف . بولان

م . س . كوفان

تعريب وتلخيص : بشير زهدي

أثناء قيام المعهد الفرنسي للآثار (I.F.A.P.O) ببحوث بادارة السيد (ج . تات) في الكتلة الجيرية في جبل الزاوية ، على مسافة ٣٠ كم شمال أفاميا ، ظهرت بقايا استيطان تعود الى عصور ماقبل التاريخ في موقع (جراده).واكتشفت صناعة حجرية أثناء دراسة السيد بولان لقرية تعود الى العهود المسيحية الأولى . وأثناء بحثه لمعرفة فيما إذا كان المبنى (الهيكل ١٣) قد استخدم كحظيرة ، تابع عمله في الأرضية المؤلفة من ردم من هذا المبنى فحصل حينئذٍ على عدد كبير من الأدوات الصوانية ، بعضها محروق . وأمكن التعرف بينها على مطارق ، وشظايا (انظر الصورة ـ ٦) قطعت حتى استنزفت . وهناك عدد من الأدوات الشظايا وبعض السكاكين ، والأدوات الأخرى الحجرية المصنوعة .

وتتوزع هذه الأدوات الصوانية الكبيرة التي منها مناقش زاوية (رقم ٧) ، ومحك مسنن (الرقم ٩) ، ومثاقب ، ومباضع محددة . ولبعضها طرفان محددان (الرقم ٥) . وهناك مباضع لها فريضة ، وأدوات صوانية صغيرة منها مباضع ذات جذع منحرف ، وقطع متميزة من الناحية الحضارية ، لها قطاعان لهما لمسات خامية مباشرة . وان تقنية المنقش الصغير تبدو نادراً ما كانت مستخدمة ، وعلامة ذلك لوحة حجرية ذات خط متوسط .

كل ذلك يدل على وجود مجموعة أسلحة من أدوات صوانية ، حيث نتعرف على كل مراحل صنع الأدوات، بدءاً من الأدوات الصغيرة، والانتاج الغزير من الأدوات الصوانية . . حتى الأداة الكاملة الصنع . فهناك إذن مصنع محلّي ، واستخدام أدوات حجرية مختلفة وان مجموع هذه الأدوات الحجرية يعود الى العصر الحجري القديم ، وأن قطع الأدوات الحجرية المفضل على الشظايا يبدو أنه يشير الى العصر النطوفي ، أي حضارة الصيد والقطاف التي امتدت في المشرق بين ١٠٠٠٠ و ٨٣٠٠ ق.م ويصعب تحديد أكثر من ذلك الوضع الزمني لهذا الموقع ، وان عدم وجود لمسات على السطحين لمصلحة لمسة خامية يمكن أن يوحي بالعصر النطوفي الحديث المتأخر عن ١١٠٠٠ ق.م ولكن كل هذا ليس دليلاً ، وذلك بسبب الضعف الفعلي للأدوات الحجرية المصنوعة . ومن المعروف في كل الحالات بأنه ليس بعيداً عن ذلك ، في الغاب (انه حقيقي بقرينة أخرى لأنه وادي وعر وليس كتلة جيرية) ، وقد

● فيما يتعلق بالهوامش والصور يرجى الرجوع الى القسم الأجنبي من هذا المجلد

أشارت التحليلات الى انتشار الأشجار في حوالي ١١٠٠٠ ق.م . مرتبط بنمو الرطوبة ، وان حادث الرطوبة يمكن أن يترافق مع استيطان موقع (جراده) .

وان المواقع النطوفية المعروفة حتى الآن في المشرق هي : أما قرى ، أو محطات موسمية في الهواء الطلق أو ملاجىء تحت الصخور .

وان المشكلة الأولى المتعلقة بموقع (جراده) هي تحديد الطبيعة ، والموقع البدائي للمركز ، وهذا صعب في الوقت الحاضر بسبب ظروف الاكتشاف .

فاذا كانَ استيطاناً في الهواء الطلق ، فانه يمكن أن يكون مؤسساً في الأماكن نفسها ، ومعدّلاً في العهود المسيحية الأولى عند تأسيس القرية ، أو في مكان أعلى ، على السطح ، وان الأدوات الحجرية قد انزلقت .

ويمكن أيضاً أن يكون أرضاً منقولة الى المبنى ١٣ منذ كهف البئر الطبيعي الواقع على مسافة بضعة أمتار من المكان ، ويمثل أيضاً بقايا ترتيب في العهود المسيحية الأولى ، وان حملة الأسبار وحدها يمكن أن تجيب على هذه التساؤلات .

ومن جهة أخرى ، فان الأدوات الصوانية لا توجد في الضاحية المباشرة ، مما تطلب أيضاً البحث .

إن الاكتشاف هام . لأن العصر النطوفي كان حتى الآن يشار إليه في كل المشرق الجنوبي (من الجليل حتى ايدوم)، في حين أنه في شمال المشرق (الصورة ٢) جد اما على امتداد حوض الفرات الأوسط (مريبط ، دبسي فرج أبو هريرة . . . .) وفي واحة الكوم ، أو في مناطق في جهة الغرب لا ترتفع شمال خط عرض بيروت ويبرود .

وعلاوة على ملجأ يبرود نفسه ، فان العصر النطوفي يوجد في الواقع في الساحل (جعيتا ، برج البراجنة) وفي سهل البقاع الداخلي ، وفي منطقة دمشق (محطة جيرود . . . .) ولكن مصور سورية الشمالية الغربية يبقى حتى الآن فارغاً تماماً بالنسبة لهذا العصر .

إن الحضارة النطوفية ، معروفة بشكل خاص حتى الآن في سورية في قطاع منطقة شبه قاحلة . واعتبر مدة طويلة كقطاع مرتبط بتوسع الحبوب البرية الخاص بهذا القطاع .

وان واقع امكان توسع في مناطق سورية ذات اقليم حالي من نوع اقليم البحر المتوسط هو في ذاته هام ، ويدافع لمصلحة مرونة هذه الحضارة ، ويسمح بالتلاؤم مع بيئات مختلفة جداً .

ومن جهة أخرى ، فان عدة مؤلفين لاحظوا الصلات النطوفية للمواقع الساحلية في (ليقيا) في تركيا (بلدبيي ، بلباسي) . وأن الصعوبة الوحيدة للتحدث عن التوسع تأتي من بعد هذه المراكز بالنسبة للمواقع المعروفة بهذه الحضارة .

ومع أحدث هذه المواقع من شارة ضعيفة لوجود نطوفي في سهل العمق ، فان موقع جراده يسهم في ملء ثغرة هامة . .